الدرس الصرفي

تمهيد:

يعني الدرس الصرفي الحديث، وهو فرع من فروع اللسانيات ومستوى من مستويات التحليل اللغوي، يتناول البنية التي يمثلها الصيغ والمقاطع والعناصر الصوتية التي تؤدي معاني صرفية أو نحوية.

ويطلق الدراسون المحدثون على هذا الدرس مصطلح **(المورفولوجيا)** وهو يشير عادة إلى دراسة الوحدات الصرفية أي **(المورفيمات)** دون أن يتطرق إلى مسائل التركيب النحوي.

وتأتي دراسة الصرف على هذا النحو ضمن تسلسل العناصر اللغوية الذي انتهجته اللسانيات الحديثة، وهو يبدأ من الأصوات إلى البنية فالتركيب النحوي، ثم إلى الدلالة التي تمثل قمة هذه العناصر وثمرتها، لأنها محصلة لمعانيها كافة.

ومع أن هذا الدرس بحسب ما رأينا درس محدث، فإن معظم اللغات المعروفة القديمة والحديثة عبّرت عمّا تشير إليه المورفيمات ؛ كالصيغ والمقولات الصرفية والنحوية كالاسمية والظرفية والحرفية ونحوها، كما حفلت بالجداول الصرفية التي حدّدت أزمنة الأفعال.

وقد تنبه علماؤنا القدامى إلى الصلة الوثقى بين الأصوات والتغييرات الصرفية، أحدهما يمثله عمل الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) في عمله الرائد معجم (العين)، وهو الذي بدأه بالحديث عن الأصوات ومخارجها وصفاتها وقواعد ائتلافها واختلافها ، أمّا المثال الآخر فقد عبّر عنه ابن جنّي (ت٣٩٢هـ) بضرورة تقديم الدرس الصرفي على الدرس النحوي ، فذكر أن التصريف لمعرفة أنفس الكلمة الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحوالها المتنقلة، فمن أراد معرفة النحو لابد له أن يبدأ بمعرفة التصريف ، لأن معرفة ذات الشيء الثابت ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة.

أقسام علم التصريف تنتظم المسائل الصرفية في ثلاثة أقسام كل قسم منها يضمّ عدداً كبيراً من الجوانب والقواعد الفرعية، أولها: مخصص لتصريف الكلمة لغايةٍ معنوية، وفيه الاشتقاق

وأنواعه، والنسب والتصغير، والزيادة ومعانيها، ومسائل التعريف والتنكير والتذكير والتأنيث والجمع والتثنية ونحو ذلك.

ثانيها: موجّهٌ لرصد التغييرات التي تعتري الكلمة لغير غاية معنوية، وفيه الإعلال والإبدال والقلب والنقل والإدغام، ومسائل أخرى كالإمالة والوقف والتقاء الساكنين ونحوها من قواعد الأداء الصوتي الصرفي.

ثالثها: ويتضمن هذا القسم مسائل وتمارين، وهي تطبيقات على قواعد الصرف جيء بها لتدريب الطلاب على اتقان التصريف.

الدرس الصرفي

١. الوحدات الصرفية:

إن الدراسات الصرفية الدلالية الحديثة أخذت تُبعِد مصطلح (الكلمة) عن مجال عملها لصعوبة تحديده، وكثرة تفسيراته التي جاءت من تاريخه الطويل عبر مجالات المعرفة المتعددة كالدين والفلسفة والنحو القديم وغيره، ومن هنا أخذ مصطلحا (الوحدة الدلالية) و (الوحدة الصرفية) يحلّان محل مصطلح الكلمة تدريجياً، ولاسيما في الدراسات اللسانية الحديثة.

إن بداية ظهور هذين المصطلحين (الوحدة الدلالية والوحدة الصرفية) عندما قُسّمت الكلمات على قسمين:

الوحدة الدلالية المعجمية: وهي عبارة عن عنصرٍ لغوي يعبر عن الفكرة التي في الذهن، ونجد له مكاناً في المعجم مثل: حصان، شَكَرَ، سرور، وغيرها.

أما **الوحدة الدلالية الصرفية:** فهي عبارة عن عنصر يعبِّر عن علاقة الأفكار أي (الوحدة الدلالية المعجمية) مع الوحدة الصرفية، وهذه هي وظيفة المورفيم (الوحدة الصرفية) ، أي دلالة العنصر الصرفي على التذكير والتأنيث، وعلاقته بـــ حصان، فنقول: هذا حصان وليس هذه، فـــ (هذا) مورفيم – وحدة صرفية، استطعنا أن نفرق بين المذكر والمؤنث من خلالها.

ويمكن ملاحظة علاقة الفعل (شكر) بالفتاة بإضافة مورفيم التاء الذي يفيد التأنيث فنقول: شكرَتْ الفتاةُ ربَّها، وكذا حين نضيف مورفيم (الواو والنون) أو (الالف والنون) في الجمع والتثنية للتعبير عن كلٍّ منهما، فنقول : (معلمون) عند إرادة معنى المعلم الزائد عن اثنين، و(معلمان) عند إرادة معنى المعلم الدال على اثنين.

من ذلك يتبين لنا أن المورفيم أو **الوحدة الصرفية** هو:

صيغة أو عنصر لغوي يدلُّ على المعاني أو المقولات الصرفية والنحوية، ويعرفه البعض على أنّه أصغر وحدة صرفية تحمل معنى أو وظيفة نحوية.

وبدهيٌّ أن الوحدة الصرفية لا صلة لها بالمعجم؛ إذ ليست لها دلالة عرفية اجتماعية؛ ويلاحظ أن مكان هذه الوحدة من السلسلة الكلامية هو الأدنى والأصغر؛ لأن هذه الوحدات لا يمكن تقسيمها على أجزاء أصغر ذات معنى أو وظيفة نحوية أو صرفية.

هذه الوحدات الصرفية كيف توجد؟ أو ما هي صور ورودها في السياق؟

تقسم الوحدات الصرفية من حيث ورودها في السياق إلى:

١- **وحدات حرّة:** ومثالها في العربية: (الضمائر المنفصلة) مثل: هو ، أنت، إياك ، أنا، ومثل (أسماء الإشارة): هذا وهؤلاء... ، ومثل: (الأسماء الموصولة)، الذي ، التي ....

٢- **وحدات مقيّدة:** ومثالها في العربية: (الضمائر المتصلة)، و(علامات جمع المذكر والمؤنث السالم والمثنى)، و(حروف الزيادة)، (تاء التأنيث)، و(ال التعريف)، و(السين) التي تسبق الفعل المضارع، وحروف المضارعة وغيرها.

وثمّة نوع من هذه الوحدات لا يرد في السياق، لكنه يدلُّ مع ذلك دلالة غيره من الوحدات التي ترد في السياق من خلال مبنى محدد، ويطلق عليه: **مورفيم الصفر، أو ما يعرف بالإنكليزية بـــ Zero Morphemes** ، ومثاله في العربية ضمير الغائب كما في قولنا: أكَلَ، وخُذ، وتأمر، وغيرها الذي يدل فيها الضمير الغائب على أن في الفعل دلالة المسند إليه مع عدم وجود أي مبنى صرفي يدل عليه.

والسؤال الآن الذي يدور في أذهاننا، هل يعتمد مفهومنا للوحدة الصرفية بكونها أصغر وحدة على عدد معين من الحروف؟ أم أن للوحدة الصرفية أشكال كميّة تتعدد من أصغر وحدة متكونة من حركة إلى عنصر منفصل كما هو الحال في أسماء الإشارة؟

ج/ إنّه بالنظر إلى شكل الوحدات الصرفية **الكمّي** نجد أن المورفيم يتكون من:

١- **صوت واحد (حركة):** مثل، (مُطْعَم) فالفتحة و(مُطْعِم) التي تدل على الفرق بين اسم الفاعل واسم المفعول ومثله: (متَّفَق) و (متّفِق).

٢- **حرف واحد:** كما في، اسم الفاعل من الفعل الثلاثي: كمل- كامل، حمل- حامل.

٣- **حرفان:** وأمثلتها كثيرة، كالألف والتاء في جمع الإناث والواو والنون في جمع الذكور، والألف والنون في المثنى وكالهمزة والتاء في صيغة افتعل وغيرها.

٤. **على هيئة كلمة:** وهي مبنى جامد كالضمائر المنفصلة وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وكثير من الأدوات النحوية ذوات المباني الجامدة أيضاً أو الأصول الاشتقاقية مثل كان وأخواتها لأنها أصبحت أدوات تعبر عن الزمن ومثلها أفعال المقاربة والرجاء والشروع، وإنَّ وأخواتها وغيرها.

وإذا نظرنا إلى أساس الكلمة: الوحدة الدلالية فإننا نرى أن الوحدات الصرفية ترد إمّا قبلها أو بعدها أو في وسطها، على شكل مبانٍ زائدة عن الأصل، وتجري الوحدات الصرفية هذه على الشكل الآتي:

١. الصدور أو السوابق، وأمثلتها في العربية كثيرة منها: حروف المضارعة (أنيت)، وهمزة التعدية في وزن (أفعل) ، والهمزة والسين والتاء في وزن (استفعل)، والتاء والميم في تمفعل، ومنها الميم في وزن مفعول من الثلاثي وغيرها.

٢. الأحشاء أو الدواخل: وتأتي في وسط الوحدة الدلالية المعجمية وأمثلتها في العربية عديدة منها: تاء الافتعال، والتضعيف في فعّل والف فاعِل من الثلاثي للدلالة على اسم الفاعل، ومنها ألف وزن فاعَلَ للدلالة على الثلاثي المزيد ونحو ذلك.

٣. الأعجاز أو اللواحق: وهي ما تأتي في نهاية الوحدة الدلالية المعجمية ومن أمثلتها في العربية الضمائر المتصلة كتاء الفاعل والهاء والكاف، وكنون الوقاية ، وحركات الإعراب وحروفه، وعلامة التأنيث، وعلامات التثنية والجمع.

الدرس الصرفي

أقسام الكلام:

راينا فيما تقدّم أنّ المورفيم مبنى صرفي له صور متعددة، كما أنّ له وظائف تتجلى في بيان العلاقة بين الكلمات ذوات الدلالة المعجمية، وتحديد أشكال الصيغ ومعانيها الوظيفية، وتوضيح المقولات الصرفية والنحوية الرئيسية.

وإذا نظرنا في المباني الصرفية من جهةِ ما تؤدّيه من معنى، أو ما تقومُ به من وظيفة ضمن النظام الصرفي، وجدنا أن بالإمكان أن تقسم على ثلاثة أقسام هي عناصر الدرس الصرفي في أكثر اللغات الإنسانية المعروفة.

والأقسام هي:

١- مباني التقسيم، أو أقسام الكلام.

٢- مباني التصريف الدالة على الجنس والعدد والتأنيث والشخص والتعريف.

٣- مباني القرائن السياقية كالإسناد والرتبة والنبر والتنغيم ونحو ذلك.

ولا بد من الإشارة قبل أن نتوقف عند تصنيفات المحدثين، إلى أن النحاة القدامى كانوا يبتدئون كتبهم بالحديث عن الكلمة وأقسامها من الناحية الصرفية ، لما لهذا الموضوع من أهمية في فهم الأبواب والمسائل النحوية التي يتصدون لها . فنجد سيبويه إمام النحاة قد قسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف وهذا ما نجده عند سائر النحاة دون أن نلحظ أي فرق بين واحد وآخر . لقد حدد سيبويه للذين جاؤوا بعده الأسس التي قلَّ خروجهم عنها . ومنها هذه المسالة المتصلة بأقسام الكلام . ولكل من هذه الأقسام علامات بنائية يعرف بها ، ومعان محددة يشير إليها . ومن هنا كان الحديث عن أقسام الكلام يتطرق لدى النحاة إلى شقين هما : التعريف

المتضمن لمعنى كل قسم ، والتفريق بين العلامات التي تميز بين هذا القسم وذاك . فالاسم عندهم هو ما دل على مسمى ، والفعل ما دل على حدث ، والحرف ما ليس كذلك ، أي ما لم يكن ذا معنى في نفسه . ويعرف الاسم بعلامات هي الجر والتنوين وقبول النداء ودخول أل التعريف وجواز الإسناد . على حين أن الفعل يعرف بعلامات هي دخول الضمائر المتصلة كالتاء التي هي للمتكلم ، وتاء التأنيث وياء المخاطبة المؤنثة ونون النسوة . أما الحرف فسوى هذين القسمين لفظاً ومعنى ، إذ لا يحتاج إلى بيان أي علامة ما دام القسمان الرئيسان قد توضح أمرهما.

ومع ذلك لا يخلو الأمر من وجود بعض الخلاف حول اسمية الكلمة أو فعليتها كما في: نعم وبئس، أو اقتراح تسمية جديدة لبعض الكلمات، كما فعل بعض النحاة ومنهم الفراء الذي أطلق على اسم الفاعل **بالفعل الدائم**، وأطلق تسمية **الخالفة** على بعض الكلمات التي اختلف النحاة في اسميتها وفعليتها كاسم الفعل، وقد أفاد د. تمام حسان من هذه التسمية في تقسيمه للكلام كما سنرى لاحقاً.

إن هذا التقسيم للكلام تعرّض للنقد والاعتراض من بعض الدارسين المحدثين، لأنه تقسيم عقلي عام لا يتطابق مع الحقائق اللغوية تفصيلاً، وأن انحصار الكلام في ثلاثة أقسام ترك بعض أنواع الكلام غير ثابت في انتسابه إلى قسم دون آخر.

وقد أفاد الدكتور تمّام حسان من الإشارات التي حوتها بعض المصنفات القديمة، فانتهى إلى أن الكلام في العربية يمكن أن تقسم على سبعة أقسام هي:

١- **الاسم:** وهو كل كلمة تدلُّ على مسمّى ليس الزمن جزءاً منه، ويشمل:

أ- **اسم الذات:** وهو ما دلَّ على مسمّى معين كالأعلام، والأجسام والأغراض، مثل: محمد، كتاب، بيت، سماء.

ب- **اسم الجنس:** ويندرج تحته اسم الجنس الجمعي (مفرده يكون بإضافة ياء النسب أو تاء التأنيث)، مثل: عرب، تُرك، برتقال ...، واسم الجمع (الذي لا مفرد له من لفظه): نساء، قوم، إبل...

ج- **الاسم المبهم:** ويشمل طائفة من الأسماء التي لا تدل على ذات بعينها، مثل الأوقات والجهات والموازين والمكاييل، كفوق وتحت وقبل وبعد وامام وخلف وغيرها.

د- اسم المعنى: وهو الذي يدل على الحدث أو عدده أو نوعه كالمصدر واسم المصدر واسم المرة واسم الهيئة والمصدر الميمي.

هـ- مجموعة من الأسماء المبدوءة بميم زائدة كاسم الزمان والمكان واسم الآلة، مثل مكنسة ، مجلس، موعد، مفتاح.

٢- **الصفة:** وهي كلُّ كلمة تدل على موصوف بالحدث، وتشمل: المشتقات (اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، صيغة المبالغة، اسم التفضيل).

فالصفة مبنى صرفي عام تندرج تحته هذه الصفات الخمس التي يختص كل منها بصيغٍ معينة أما معنى الصفة الصرفي فهو دلالتها على الموصوف بالحدث عامة، على حين أن كل صفة من هذه الصفات تختصُّ بمعنى محدد، فصفة الفاعل تدل علة الموصوف بالحدث على سبيل الانقطاع والتجدد، وصفة المفعول تدل علة ذلك أيضاً، وتختلف صفة المبالغة عما سبق إذ تدل على موصوف بالحدث على سبيل المبالغة والتكثير على حين أن صفة المبالغة تدل على الموصوف بالحدث على سبيل تفضيله على غيره ممن يتصف بالصفة نفسها، وتمتاز الصفة المشبهة من سواها بأنها تصف الفاعل على سبيل الدوام والثبات.

٣- **الفعل:** وهو كلمة تدلُّ على حدثٍ وزمن، فالحدث متأتٍّ من اشتراك الفعل مع المصدر الذي هو اسم الحدث في مادة واحدة، أما الزمن فإنّه ناتج من شكل الصيغة الخاصّة بالأفعال (المقصود من الزمن هنا الزمن الصرفي الذي تقدمه الصيغة الفعلية خارج السياق)، أي الزمن الي تقدمه الصيغة خارج السياق، كصيغة (فَعَلَ) التي تدل على المضي، وصيغة (يَفعلُ) التي تدل على الحال أو الاستقبال، على حين أن الزمن النحوي وظيفة السياق الذي قد يغير من الزمن الصرفي بحسب العلاقات النحوية التي يتضمنها.

لذا يمكننا القول بأن الفعل يقسم من حيث المبنى إلى ماضٍ ومضارع وأمر وهي الأقسام التي نص عليها النحاة القدامى.

٤- **الضمير:** هو كلمة جامدة ليست بذات أصول اشتقاقية تدلُّ على عموم الحاضر أو الغائب، فالضمير لا يدلُّ على مسمّى كالاسم ، ولا على موصوف بالحدث كالصفة، ولا على حدث وزمن كالفعل .

ويقسم الضمير كما يرى تمام حسان إلى قسمين كبيرين هما: ضمائر الحضور وضمائر الغيبة :

أ- ضمائر الحضور: وتشمل

* ضمائر التكلم المنفصلة والمتصلة مثل: (أنا ، نحن، تُ، ي).
* ضمائر الخطاب المتصلة والمنفصلة مثل (أنت، تَ، كَ، وغيرها).
* الإشارة: وتشمل، هذا ، ذاك، هذه، تلك، هاتان، ذانك، هؤلاء، أولئك وغيرها.

ب- **ضمائر الغيبة:** وتشمل الضمائر الشخصية والموصولية، وذلك على النحو الآتي:

* ضمائر شخصية: هو، هــ ، هي، ها، هما، هم، هن، وغيرها.
* ضمائر موصولية: الذي ،مَن، ما، التي، أل الموصولة، اللذان، اللتان، الذين، الأُلى وغيرها.

٥- **الخالفة:** هي كلمة يطلقها المتكلّم للإفصاح عن موقفٍ انفعالي أو تأثُّري، كقولنا: هيهات السفر! وما أجملَ الربيع! وآهٍ من البعد! أنَّ ما يميز هذه الكلمات أنّها تعبِّر عن موقف ذاتي ينمُّ على التأثر والانفعال.

أنواع الخالفة:

أ- **خالفة الإخالة:** وهي ما دعاه النحاة باسم الفعل، ومنها المرتجل: مثل: صهٍ (اسكت)، رويدك (تمهّل)، هيهات (بَعُد)، هلمَّ (تعال)، وشتّان (افترَقَ) ، ومنها المنقول مثل: عليك (إلزم) ، دونك (خُذْ)، مكانك (اثبت)، ومنها صيغة فعالِ مثل: فطامِ، ونزالِ، وكتابِ وغيرها.

ب- **خالفة الصوت:** وهي ما سمّاه النحاة باسم الصوت، واستخدمت كأسماء الأفعال في الاكتفاء بها، دالة على خطاب ما لا يعقل، أو حكاية صوت من الأصوات كقولهم: (هلا) لزجر الخيل، و(عدس) لزجر البغل، أو (كخ) للطفل، و(بس) للقطة، و(هاها) لحكاية الضحك، و(طاق) للضرب، وغيرها.

ج- **خالفة التعجب:** وهي ما دعاه النحاة بصيغتي التعجب ، ويرى تمام حسان أن هذه الصيغة محوّلة من اسم التفضيل بدليل اشتراكهما في الشروط اللازمة لصياغتها، وصيغتا

التعجب القياسية هما: ما أفعلَهُ مثل: ما أجملَ السماء، وصيغة أفعل به مثل قوله تعالى: (أسمِع بهم وأبصر يوم يأتوننا) قد يأتي التعجب سماعيّاً مثل: سبحان الله، ولله درّه فارساً.

د- **خالفة المدح أو الذم:** ويسمّيها النحاة (أفعال) المدح والذّم، وقد ورد خلاف لا يستهان به حول انتماء نعم وبئس إلى الأسماء أو الأفعال، فأما القائلون بالفعلية فقالو إنها ترفع الاسم الظاهر وضميره، وتقبل تاء التأنيث الساكنة كالأفعال، وأما القائلون بالاسمية فقالوا : إن حرفي الجر والنداء يدخلان عليها فالنظام الذي بينها وبينهما قرينة على اسميتها، كقولهم: والله ما هي بنعم الولد، والذي يقال في نعم وبئس يقال أيضا في حبذا ولا حبذا فلا صلة لهما بمعنى مشتقات مادة (ح ب ب) وإنما يقوم التعبير على الخوالف الأربع جميعاً مقام التعبيرات المسكوكة كما سبق في التعجب.

يتبين مما ذكرنا أنَّ الخوالف تعبيرات مسكوكة لا تتغير صورتها حين يراد تصريفها . فمنها الجامد كأسماء الأفعال، ومنها ما يكون على شكل قالب صرفي كصيغتي التعجب.

أمّا من جهة المعنى فتشترك الخوالف في أنَّها تؤدي معنى الإفصاح الإنشائي ، وجميعها يحسن بعدها أن نضع في الكتابة علامة (!) للتأثر.

٦- **<u>الظرف:</u>** هو كلمة تدلُّ على معنى صرفي عام، هو الظرفية الزمانية والمكانية، وهو من حيث المبنى جامد لا يتصرّف وليست له صيغ خاصة، وقد استبعد د. تمام حسان جميع الظروف المعروفة سابقاً مثل: (منذ، فوق ، تحت، ساعة ، يوم، اسماء العدد كثلاث ليالٍ، دون، لدن، عند....)ولم يبق من الظروف إلا التي قال عنها بأنّها تستحق وهي: (إذ، إذا، إذن، أيان، متى) للزمان، و(أين، أنّى، حيث) للمكان.

٧- **<u>الأداة:</u>** وتعرف الأداة بأنّها: كلمة تؤدي وظيفة نحوية عامة هي التعليق. فليس للأداة معنى معجمي؛ لأنها مبنى صرفي يغلب عليه البناء والجمود،: تقسّم الأداة على قسمين :

أ- **الأداة الأصلية:** وهي حروف المعاني المؤلفة من مبنى أحادي كالواو والباء والهمزة والفاء... ومن مبنى ثنائي مثل: أنْ، أو ، بل، عن، من...، ومن مبنى ثلاثي مثل: إلى، على، أجل، إذن، إنَّ، بلى...، ومن مبنى رباعي مثل: أمّا، حتّى، لعلَّ، لولا.. ومن مبنى خماسي مثل: لكنَّ.

ب- **الأداة المحوّلة:** وهي مبانٍ تنتمي إلى أقسام الكلام الأخرى، لكنّها حوّلت إلى قسم الأدوات لأنّها أشبهتها في أداة معانٍ وظيفية تخصُّ الحروف كما سمّاها النحاة، فقد تكون

أفعالاً مثل كان وأخواتها وكاد وأخواتها، وقد تكون ظرفاً مثل: وقد تكون أسماء مبهمة مثل: كم وكيف وغيرها.

أما أقسام الكلام في اللغة الإنكليزية فثمانية هي: الاسم، والضمير، والصفة، والفعل، والظرف، وحرف الجر، وحرف العطف، والتعجب.

وفي اللغة الفرنسية تسعة أقسام هي: الاسم، والضمير، وأداة التعريف، والصفة، والفعل، والظرف، وحرف الجر، وأداة ربط الجمل، وصيحة الهتاف (اسم الفعل).

ولا يلحظ فرق أساسي بين تقسيم الكلام في الإنكليزية وتقسيمه في الفرنسية فالاسم والضمير والفعل والصفة والظرف وحرف الجر وحرف العطف (أداة الربط الجمل) والتعجب (صيحة الهتاف) أقسام مشتركة بين اللغتين، وتنفرد الفرنسية بقسم إضافي هو أداة التعيين أو التعريف ولها وظائف متعددة هي التعبير عن التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع وأهم فروعها (le, la, les) لتعريف المفرد المذكر والمفرد المؤنث والجمع بنوعيه.

٣. التصريف والزمن:

الزمن مقولة صرفية ونحوية عامة تعبر عنها صرفيّا صيغ التصريف الفعلي، وتشترك اللغات المعروفة في أنها تضم ثلاثة أزمنة صرفية رئيسية هي: الماضي والحاضر والمستقبل، لكن هذه اللغات تختلف في طرق التعبير عن الزمن صرفياً ونحوياً من جهة، وفي عدد ما تتضمنه من الأزمنة من جهة أخرى، فاللغة العربية واللغات السامية تقسم الفعل تقسيماً زمنياً يضم ثلاثة أنواعٍ هي:

١. الماضي، وهو الذي يسبق زمن التكلم.
٢. الحاضر (المضارع) وهو الذي يدل على الحضور أو الاستقبال.
٣. الأمر وهو الذي يدل على طلب الفعل حاضراً أو مستقبلاً.

أما اللغات الهندية الأوربية فتقسم الفعل ضمن جداولها التصريفية إلى أكثر من ذلك، إذ تدقق في بعض الأزمنة فتشتق منها أشياء جديدة، كما تركب أزمنة من اجتماع زمنين في صيغة واحدة مثال ذلك وجود زمن للمستقبل كذلك وجود أزمنة مركبة .

ويلاحظ أن معظم المستشرقين الذين درسوا ظاهرة الزمن في العربية انتهوا بعد نقد بعض المصطلحات كالمضارع والأمر إلى أن العربية وأخواتها الساميات تعبّر عن الزمن تعبيراً محدوداً جداً، والسبب فيما نرى هو أن هؤلاء درسوا الزمن بوصفه نتاج الفعل وحده، ولا سيما إذا كان خارج السياق. ولم تتقدم دراساتهم باتجاه تحليلي السياق النحوي الذي تأتلف فيه الأفعال والأدوات والمواقع الإسنادية لتقدّم الزمن النحوي الذي لا يقلُّ غنى عن الزمن الذي تقدّمه اللغات الأخرى.

ومن هنا ينبغي أن يميز بين نوعين من الزمن: أحدهما زمن صرفي تقدّمه جداول التصريف الفعلي عن طريق اللواصق (المورفيمات)، وهو زمن يوصف خارج السياق. وثانيهما زمن نحوي تقدّمه التراكيب الإسنادية التي تضمّ الأفعال وهي في السياق النحوي، والأدوات وكل مباني القرائن السياقية، وهو زمن لا يوصف إلا داخل السياق.

وبناءً على ما تقدّم نرى أن ما قرّره بعض الدارسين الأجانب صحيح من ناحية الزمن الصرفي، لكنه غير صحيح من ناحية الزمن النحوي؛ لأن العربية تمتلك وسائل أخرى لتوليد الأزمنة والتدقيق فيها ضمن السياق النحوي. ويبدو أن تناول أولئك الدارسين لقضية الزمن في العربية كان تناولاً قريباً من مناهج فقهاء اللغة الذين ينطلقون من خصائص لغاتهم أصلاً ثم يرون ما يوافقها من خصائص اللغات الأخرى أو ما يخالفها، وهم في كل ذلك ميّالون إلى ما في لغتهم على أنه نموذج معياري تقاس به سائر الخصائص المدروسة لأي لغة من اللغات، ولا يختلف الأمر لدى بعض الدارسين العرب الذين تلقوا علومهم في اللغات الأجنبية، ثم راحوا يُنشؤون مقارنات تفتقر إلى المنهج الدقيق افتقارا واضحاً. أن منطلق الدرس اللساني وصفي لا يتسلح بأفكار مسبقة أو نماذج قياسية. ولذلك تتجه دراسات المنهج التقابلي إلى الإقرار المبدئي بالأنساق المعرفية للغات المدروسة، دون أن يكون هناك مجال لفرض أي نسق على آخر.

ولا بد من ملاحظة أن عدم تخصيص النحاة العرب للزمن بشقيه الصرفي والنحوي مباحث وافية، أو عدم تقديم ذلك في باب مستقل بارز من أبواب دراستهم، شيء مختلف عمّا تقدّمه العربية من تنوّع وتدقيق في الزمن بوسائل متعددة . ولذلك كان ضرورياً عدم الاكتفاء بالنظرة العجلى إلى أبواب النحو العربي للحكم على هذه القضية برمّتها. ومن هنا ساغ لدى بعض

الدارسين كالدكتور تمام حسان تجميع الأنظار النحوية المتفرّقة في تضاعيف المصنفات وتفسيرها، لكن هذا مشروط بالانطلاق مما هو موجود في العربية فعلاً حتى لا يقع الدارس في خطأ اصطناع جداول تصريفية هي في الأصل ترجمات حرفية لبنى تركيبية أجنبية. وليست هناك فائدة ترجى من هذه الجداول على النحو الذي وصفنا لأنها لا تعبر عمّا هو كائن ضمن الاستعمال المعهود في العربية، بل عمّا مستجلب أو مفروض على البنية الزمنية للعربية.

ولا بد من الإشارة إلى رأي دقيق للمستشرق الألماني برجشتراسر في كتابه (التطور النحوي) ، إذ وضع هذه القضية في مكانها الصحيح. فالعربية –كما يرى– تمتاز من اللغات السامية بتخصيص معاني أبنية الأفعال وتنويعها. وذلك بوساطتين هما: اقترانها بالأدوات، نحو (قد فعل) و(قد يفعل) و(سيفعل) و(سوف يفعل) و(لن يفعل). واستعمال فعل (كان) على اختلاف صيغه، نحو: (كان قد فعل) و(كان يفعل) و(سيكون قد فعل) ويرى براجشتراسر أيضاً أن هذا التنوع والغنى لا يفوق كل اللغات السامية فقط، إنما يقرّب من غنى الفعل اليوناني والغربي، بل يزيد عليهما في بعض الأشياء.

وواضح أن ما ذكره براجشتراسر ليس إلا أمثلة محدودة من وسائل كثيرة تستطيع بها العربية التعبير عن الزمن ولا سيما على الصعيد النحوي السياقي. ففي مباحث الأدوات الدّالة على المعاني ومباحث أنواع الجمل والأفعال الناسخة والأفعال ذات الوظائف الخاصة كالشروع والمقاربة والرجاء، وأسماء الأفعال ومعظم المشتقات الاسمية القياسية كثير من الجوانب المتعلقة بالزمن النحوي الذي هو محصلة للزمن الصرفي الذي تقدّمه صيغ الأفعال، وللعلاقات والقرائن السياقية التي تقدّمها قواعد التركيب النحوي.

نخلص من هذا كله أن بعض اللغات تعبّر عن الزمن بوساطة التصريف كالفرنسية والإنكليزية، وأن بعضها الآخر يعبّر عن الزمن بوساطة القرائن السياقية النحوية كالعربية.

ومن الدير بالذكر أن كتب التفسير حفلت بالإشارات المهمة إلى تغيّر الزمن تبعاً للعلاقات السياقية أو القرائن الحالية. والأمثلة على هذين المنحيين في بيان الزمن اللغوي في العربية أكثر من أن تحصى.

فقد بيّنوا أن الفعل الماضي يكون معبّراً عن الزمن الحاضر أو المستقبل ، فالحاضر، كقوله تعالى: (آلآن حصحص الحق) والمستقبل ، كقوله تعالى (اقتربت الساعةُ وانشقّ القمر) ومثل ذلك كل جمل الدعاء نحو: رضي الله عنه، وعفا الله عنه، ورحمه الله، ومثل ذلك الماضي إذا ولي أدوات الشرط ولا سيما إنْ وإذا، لأنه يغدو خالصاً للمستقبل، كقوله تعالى: (إذا جاء نصرُ الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنه كان توّاباً) ففعلا: جاء ورأيت ماضيان صرفيّاً مستقبلان نحويّاً.

وبيّنوا أنَّ من سنن العرب التعبير عن الماضي والمستقبل بما يدلّ على الحال والحضور قصداً إلى إحضاره في الذهن، وكأنّه مشاهدٌ حالة الإخبار، نحو قوله تعالى: (وإن ربّك ليحكم بينهم يوم القيامة) أي: سيحكم، لكنه استعمل اللام التي هي للحال. وقوله تعالى: (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً) أي: فأثارت، لكنه استعمل المضارع ليدل على الحال لفتاً لأنظار الناس إلى قدرة الله الباهرة.

كذلك بيّن النحاة والمفسرون أن الفعل المضارع يمكن أن يدلّ على زمن مضى لأغراضٍ بلاغية أو لغوية، نحو قوله تعالى: (ثم قال له كن فيكون) أي: كن فكان، ففعل (يكون) مضارع صرفياً وماضٍ نحوياً ومثله الشاهد التالي:

جاريةٌ في رمضان الماضي تقطعُ الحديث بالإيماضِ

أي: قطّعت، لأن الحدث وقع في رمضان الماضي. ويشله هذا الاستعمال ما يدعى بالماضي المتجدد.

وفي ضوء التفريق بين الزمن الصرفي والزمن النحوي، ومع الإفادة - من نظرات النحاة القدامى ابتدع الدكتور تمام حسان جدولاً للزمن النحوي في العربية مستعيناً بالصيغ الصرفية الرئيسة وهي (فعل) و (يفعل) و (اِفعَلْ)، وبالأدوات والنواسخ التي تدخل على هذه الصيغ. وتجدر الإشارة إلى أن الدكتور حسان قسم جدوله إلى قسمين كبيرين بحسب ما يقسم إليه الكلام من خبر وإنشاء مع كل ما يتفرع منهما من أساليب وسنكتفي بإيراد أسلوب الإثبات من الكلام وأسلوب الاستفهام من الكلام الإنشائي (للاطلاع)

١. الإثبات من الكلام الخبري (فعل – يفعل)			٢. الاستفهام من الكلام الإنشائي (فعل – يفعل)
الزمن	الجهة	الصيغة في الاثبات	الصيغة في الاستفهام

الماضي	البعيد المنقطع	كان فعل	هل كان فعل ؟	ألم يكن فعل؟
الماضي	القريب المنقطع	كان قد فعل	هل كان قد فعل؟	ألم يكن قد فعل؟
الماضي	المتجدد	كان يفعل	هل كان قد يفعل؟	الم يكن يفعل؟
الماضي	المنتهي بالحاضر	قد فعل	أقد فعل؟	أما يفعل؟
الماضي	المتصل بالحاضر	ما زال يفعل	أما زال يفعل؟	ألمّا يفعل؟
الماضي	المستمر	ظل يفعل	هل ظل يفعل؟	ألم يفعل؟
الماضي	البسيط	فعل	هل فعل؟	ألم يفعل؟
الماضي	المقاربي	كاد يفعل	هل كاد يفعل؟	ألم يكد يفعل؟
الماضي	الشروعي	طفق يفعل	هل طفق؟	أليس يفعل؟
الحال	العادي	يفعل	هل يفعل؟	أما يفعل؟
الحال	التجددي	يفعل	هل يفعل؟	أما يفعل؟
الحال	الاستمراري	يفعل	هل يفعل؟	أما يفعل؟
المستقبل	البسيط	يفعل	هل يفعل؟	ألا يفعل؟
المستقبل	القريب	سيفعل	أسيفعل؟	ألن يفعل؟
المستقبل	البعيد	سوف يفعل	أسوف يفعل؟	ألن يفعل؟
المستقبل	الاستمراري	سيظل يفعل	أسيظل يفعل؟	ألن يفعل؟

ونقدم فيما يلي جدولاً للتصريف الزمني في اللغة الفرنسية مثلاً على اللغات التي تعتمد على الصيغ الصرفية وحدها في توليد الزمن. ويُعد جدول التصريف في الفرنسية من أوسع الجداول التصريفية في اللغات الهندية الأوربية وأغناها بالفروق.

فالصيغة الدالة على التعيين تعبر عن فعل يقيني أو فعل هو في حـالة ثابتة، وتحتوي هذه الصيغة على الأزمنة التالية:

١. الحاضر (المتواصل - المتكرر - المتداول).
٢. ويُعبر عن الحاضر المستمر بـ ومثاله في العربية :يعمل
٣. الماضي الذي له شيء من التعلق بالحاضر، ومثاله في العربية : (قد عمل).
٤. الماضي القريب الحدوث. ومثاله : (عمل) قبل قليل.
٥. الماضي المتجدد ومثاله : (كان يعمل).
٦. الماضي التام. ومثاله : كان قد فعل
٧. الماضي الذي يدل على زمن انتهى. ومثاله: (فعل)
٨. لماضي الذي حدث قبل ماض آخر. ومثاله : كان قد فعل، نحو: (كان قد أنهى خطابه حين خرج من القاعة).
٩. المستقبل غير المشروط (أو البسيط). ومثاله: (سأفعل)
١٠. المستقبل القريب. ومثاله : (سأفعل غداً)
١١. المستقبل الذي يسبق مستقبلاً آخر. ومثال : سأكون قد فعلت نحو (سندخل إلى الصف حين يكون الجرس قد دق)

وتعبر الصيغة الدالة على التعلق الإنشائي عن فعل يراد حدوثه أو يشك في حدوثه. وهذه الصيغة هي فعلان بينهما أداة . هي (que) التي تترجم إلى العربية بـ (أن) الناصبة.
ومثال هذه الصيغة: (أود أن يرجع ولدي سريعاً). وتضم الصيغة السابقة أربعة أزمنة هي:

١ -الحاضر، نحو (آمل أن يكون سعيداً).
٢- الماضي، نحو أشك في أنه امتلك ذلك النشاط)
٣ - الماضي المتجدد، نحو (كنت أود لو أنه امتلك نشاطاً كافياً).
٤- الماضي التام، نحو (كنت أخشى أنه قد حضر في أثناء غيابي).

وتدل صيغة الأمر والمنع على الطلب وذلك في زمنين هما: الحاضر، نحو (إعمل) أو (ليكن عندك عمل). والمستقبل، نحو التكن مستيقظاً قبل الساعة الثامنة غداً، أما الصيغة الشرطية فتشير إلى زمنين هما : الحاضر والماضي. ولا بد في هذه الصيغة من أداة الشرط (si) التي تترجم إلى العربية بـ (إذا) أو (لو) بحسب السياق.